

برنامج التدريب البحثي

تخمير الفكرة

- يقال عن العجين إذا اختبز من ساعته ولم يخمر: فطير، فإذا تركته ليختمر قيل: هذا خمير، أما الخميرة فهي التي تجعل في العجين ليختمر.

ثم ذهب ذلك مثلاً:

(١) فالرأي الفطير: كل ما أعجل عن إدراكه، يقال: إياي والرأي الفطير، ومنه قولهم: شر الرأي الفطير، ويقال أيضاً: رأى نبيء غير نضيج، وفطير غير مخمّر.

(٢) وفي الضد قالوا: خمير الرأي خير من فطيره، أي لا تستعجلوا بالرأي حتى يستحكم. وقالوا: ما أشتهي الخبز إلا بائناً، كناية عن تخمير الفكرة، فتخمير الفكرة ألا تخبزها على الفور، وتدعها في ليالي الشتاء بطولها حتى تختمر، وهنا يكون الرأي الخمير، البائت، المحكك، النضيج. ينظر: العين (٧/ ٤١٧)، جمهرة اللغة (٢/ ٧٥٥)، الصحاح (٢/ ٦٥٠)، الفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٧١).

- الفرق بين خمير الرأي وفطيره: هو أحد مدارات الفرق الكبرى بين الخائضين في المعارف، فتجد ذاك على سعة اطلاعه وكثرة حفظه وطول مكثه في العلم لا يزن شيئاً أمام تلميذ صغير من تلامذته، ينقص عن أستاذه في كل شيء إلا أنه يخمر فكرته، وينضج سؤاله، فيعتاص الأمر على أستاذه، وما أغنت عنه معارفه.

- بعد توفيق الله، هذا أحد الأسرار المعرفية: التي جعلت المشغول يسبق المتفرغ، وصاحب القدرات المتواضعة يربو على الذكي العبقري. أمر يسير، لا يكلف حضور درس، ولا قراءة مجلد، ولا رحلة وكبد، كل ما في الأمر أن تضع الفكرة تختمر وتبات، وهي تفعل فعلتها. وكم من عالم أشار إلى مسائل من هذا القبيل، وأنها لم تزل تتردد عليه، وتطرق ذهنه، وظلت ماثلة أمامه، وانشغل بها باله، حتى آل حال المسألة إلى ذروة التحقيق.

وهذه طائفة يسيرة من الفوائد في الرأي الفطير، والرأي الخمير:

- قال الجاحظ (ت ٢٥٥):

(١) إن أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة، أو حبرت خطبة، أو ألّفت رسالة، فإياك أن تدعوك ثققتك بنفسك، أو يدعوك عجبك بثمره عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه، ولكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب، فإن رأيت الأسماع تصغي

- له، والعيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه، فانتحله. فإن كان ذلك في ابتداء أمرك، وفي أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا، فلعله أن يكون ما دام رِيضا قضييا، أن يحل عندهم محل المتروك. فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا، فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية، فخذ في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه، أو زهدهم فيه.
- (٢) لا تتق في كلامك برأي نفسك، فإني ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره، وفي كلامه، وفي ابنه، رأيت متهافتا وفوق المتهافت.
- (٣) كان زهير بن أبي سلمى، وهو أحد الثلاثة المتقدمين، يسمي كبار قصائده «الحوليات»، وقال نوح بن جرير: قال الحطيئة: «خير الشعر الحولي المنقح»، قال: البعيث الشاعر، وكان أخطب الناس: «إني والله ما أرسل الكلام قضييا خشيبا، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك».
- (٤) أرادوا عبد الله بن وهب الراسي على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة فقال: «وما أنا والرأي الفطير، والكلام القضييب»، ولما فرغوا من البيعة له قال: «دعوا الرأي يغب، فإن غبوه يكشف لكم عن محضه». (وفي زهر الآداب: دعوا الرأي حتى يبلغ أناته).
- (٥) قيل لابن التوأم الرقاشي: تكلم. فقال: «ما أشتهي الخبز إلا بائتا».
- (٦) قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك! قال: وبم ذلك؟ قال: لأني أقول البيت وأحاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.
- (٧) قال بعض الشعراء لرجل: أنا أقول في كل ساعة قصيدة، وأنت تقرضها في كل شهر. فلم ذلك؟ قال: لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبل من شيطانك.

البيان والتبيين (١/ ١٧٧ - ١٧٩)

وقال الصولي (ت ٣٣٥):

- قال بعض الكتاب: ليس الكتاب كل وقت على غير نسخة، ويجرر بصواب، وكل أوان، لأنه ليس أحد أولى بالأناة والروية وتوقي الاغترار، من كاتب يعرض عقله وينشر بلاغته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويخمرها، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس له أعداء علماء بكتابه متفرغون له، منتقدون عليه.
- وقال آخر: إن الابتداء بنظم الكلام ونثره فتنة تروق، وحدة تعجب. فإذا سكتت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه مساوياً لغمه بإساءتهن.
- قال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما عندك في كذا؟ فقال: أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة، ثم أروح فأقول بعد تأملي بما عندي.
- كان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقليل له في ذلك فقال: "عن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلبي لتحيه".

- وصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها، ثم تحرر على ثقة تصحبها، وتتأمل بعد التحرير من أولها إلى آخرها. فقد كتب للمأمون مصحف اجتمع عليه، فكتب: بسم الله الرحيم وأغفل الرحمن فإن العين لم تعتبر ذلك حتى فطن هو.
 - قال محمد بن عبد الملك للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر بها فتصبح بها. فقال له محمد: قد كانت النسخة تامة فلم تصبحت. فقال: حتى تصفحت.
- أدب الكتاب (ص: ١٥٧، ١٥٨).

وقال القيراوي (ت ٤٥٣):

- ليس أحد أولى بالأناة وبالروية: من كاتب يعرض عقله، وينشر بلاغته؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له، عارفون بكتابه، منتقدون عليه، متفرغون إليه. زهر الآداب
 - وصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها، ثم تستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها، ويوسع بين سطورها، ثم تحرر على ثقة بصحتها، وتتأمل بعد التحرير حرفا حرفا إلى آخرها.
 - وقيل لبشار بن برد: بم فقت أهل عمرك، وسبقت أهل عصرك، في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي، ويناجينى به طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلفها ولا والله ما ملك قيادي قطّ الإعجاب بشيء مما آتى به.
- زهر الآداب (١/ ١٥٤، ١٥٥).

- قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧):

- ما اعتمد أحد أمرا إذا هم بشيء مثل الثبث؛ فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب، كان الغالب عليه الندم، ولهذا أمر بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالثبث يفتكر، فتعرض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور، وقد قيل: "خمير الرأي خير من فطيره".
- صيد الخاطر (ص: ٣٨٥).

- ومن الرأي الفطير الانتكال على ما يقع في أول التفكير:

- قال الله تعالى: { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ } [هود: ٢٧]، المعنى من بدا إذا ظهر، أي فيما يبدو لهم من الرأي دون بحث عن خفاياه ودقائقه. أو المعنى من البداء أول الشيء، أي فيما يقع أول الرأي، أي دون إعادة النظر لمعرفة الحق من التمويه، ومآل المعنيين واحد.
- ينظر: التحرير والتنوير (١٢ / ٤٨).